دلالة الفطرة على وجود الله تعالى عند ابن تيمية

الباحثة/ درة بنت محمد بن عيسى مسملي
باحثة دكتوراه بقسم العقيدة
كلية الدعوة وأصول الدين – جامعة أم القرى

المقدمة:

إنّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أنّ محمدًا عبده ورسوله.

فإن مسألة إثبات وجود الله لأ هو أسّ الحقائق الشرعيّة، ومع ذلك فقد انحرفت فطر فئام من النّاس عن هذه الحقيقة، فأنكروا وجود الله تعالى، بالرغم من تعدّد الآيات الدالة على وجوده ــ وكثرتها، ومن أهمّ هذه الأدلة الدلة على وجود الله الاستدلال بدليل الفطرة، فإنّ هذا الدليل من أظهر الأدلة، ولا يمكن لمحقّ إنكاره، وممّن استدلّ بهذا الدليل من الأئمة المتقدمين ابن تيمية :، وفي هذا البحث سأتناول موقف ابن تيمية من دلالة الفطرة على وجود الله ورأيه من مجيء أدلة شرعية أخرى تدلّ على وجود الله لأ

والمتتبع لكتب ابن تيمية : في مسألة الفطرة يجد أنّه يؤكّد على فطريّة معرفة الله تعالى؛ وذلك لأنّ المعرفة الفطريّة هي الأصل والمرجع في الأدلة العقليّة؛ فالنّفوس البشريّة فيها قوّة تقتضي اعتقاد الحق وإرادة النافع لها دون الضّار، وأظهر الحقّ إقرارها بأنّ لها خالقًا صانعًا، وإيمانها بمعرفته وبوجوده أعظم المنافع لها(١)، وحبّ العبد لربه أمر فطري مفطور في المرء، أعظم مما فطر فيه من حبّه للبن أمّه!(٢).

وممّا يدلّ على أهميّة المعرفة الفطرية كذلك، أنّ دلالة الفطرة هي الدلالة التي ينتهي إليها الاستدلال العقلي؛ فإنّ (البرهان الذي يُنال بالنظر فيه العلم لا بدّ أن ينتهي إلى مقدمات ضروريّة فطريّة، فإنّ كل علم ليس بضروري لا بدّ أن ينتهي إلى علم ضروري(٣)، إذ المقدمات النظرية لو أثبتت بمقدّمات نظرية دائمًا لزم الدور القبلي، أو

(١) انظر: درء تعارض العقل والنقل (٨/٤٥٨).
(٢) انظر: درء تعارض العقل والنقل (٨/٤٦٤).
(٣) عرّف ابن تيمية : العلم الضروري بأنّه العلم الذي يلزم نفس العبد لزومًا لا يمكنه الانفكاك عنه. مجموع الفتاوى (٢/ ٧٦).

التسلسل في المؤثرات في محل له ابتداء، وكلاهما باطل... فلابدّ من علوم بديهية أوليه يبتدؤها الله في قلب (الإنسان) وغاية البرهان أن ينتهي إليها)[١].

ومع أنّ الإقرار بوجود الله تعالى أمر فطريّ ضروري، إلا أنّ المتتبع للأدلة الشرع يَلحظ وجود أدلّة شرعيّة متعددة ومتنوّعة تدلّل على وجود الرّب تبارك وتعالى؛ وذلك لأنّ هذه الأدلة جاءت لإصلاح فسَاد فطر بعض البشر؛ التي أنكرت هذا الأمر الضروريّ، إمّا جحودًا أو استكبارًا، فأقام الله لأ عليهم الحجة بأدلّة وبراهين ترشد الفطرة بالعودة إلى طريقها الصحيح، وتقود إلى التسليم واليقين بها والانقياد لها.

منهج البحث: منهج وصفي تحليلي: ببيان استدلال ابن تيمية بدليل الفطرة على وجود الله لأ، ومستنده في ذلك.

محتوى البحث: يتكوّن البحث من مقدمة وتمهيد وأربعة مباحث وخاتمة:

المبحث الأوّل: دليل الفطرة على وجود الله تعالى عند ابن تيمية، ويحتوي على ثلاثة مطالب:

المطلب الأوّل: المطلب الأوّل تعريف الفطرة في اللغة والاصطلاح.

المطلب الثّاني: رأي ابن تيمية في الاستدلال بدلالة الفطرة على وجود الله تعالى.

المطلب الثالث: دلائل فطريّة معرفة الله تعالى عند ابن تيمية.

المبحث الثاني: المراد بفطريّة معرفة الله تعالى وفطريّة الإقرار بوجوده عند ابن تيمية.

المبحث الثالث: مستند ابن تيمية في قوله بفطريّة الإيمان بوجود الله لأ: ويحتوي على مطلبين:

المطلب الأوّل: الاستدلال بالنصوص الشرعية.

المطلب الثاني: الاستدلال بالدلائل العقلية الدالة على فطرية معرفة الله تعالى.

المبحث الرابع: رأي ابن تيمية في النصوص الشرعية الدالة على وجود الله تعالى.

ثمّ الخاتمة وفيها أهمّ النتائج، وبقائمة المصادر.

(١) درء تعارض العقل والنقل (٣/ ٣٠٩).

المبحث الأول: دليل الفطرة على وجود الله تعالى عند ابن تيمية

المطلب الأوّل تعريف الفطرة في اللغة والاصطلاح:

الفطرة في اللغة: هي الابتداء والاختراع، وهي الخِلقة التي يُخلق عليها المولود في بطن أمّه، والفطرة منه الحالة، كالجِلْسة والرِّكبة، والمعنى أنّه يولد على نوع من الجبلة والطبع المتهيئ لقبول الدين[١].

والفطرة في الاصطلاح: هي الخِلقة والهيئة التي تكون في نفس الطفل، ويستدلّ بها على ربّه ويعرف شرائعه ويؤمن به[٢].

والفطرة هي الإقرار بالله والمعرفة به، وفي الحديث "كل مولود يولد على الفطرة" أي على ابتداء الخلقة، يعني الإقرار بالله حين أخذ العهد عليهم وهم في أصلاب آبائهم[٣].

ومن معاني الفطرة الابتداء والاختراع، ومن ذلك ما روي عن ابن عبّاس ب أنه قال: كنت لا أدري ما فاطر السماوات والأرض، حتى أتاني أعرابيان يختصمان في بئر؛ فقال أحدهما: أنا فطرتها، أي: أنا ابتدأتها[٤].

فمعرفة الله تعالى والإقرار بوجوده أمرٌ فطريّ ضروريّ؛ فإنّ الله تعالى قد خلق الخلق على هيئة تقتضي معرفته والإقرار به، لذلك كان الإيمان بوجود الله تعالى أمر فطريّ مستقرّ في النفوس، وتقرّ به القلوب أعظم وأبين من إقرارها بوجود الموجودات الأخرى.

فهذه المسألة من المسائل الواضحة الجليّة؛ التي لا يحتاج الاستدلال عليها إلى براهين وأدلّة كثيرة، إذ أنّها مستقرّة في الفطر السليمة.

المطلب الثاني: رأي ابن تيمية في الاستدلال بدلالة الفطرة على وجود الله تعالى

اتفق على فطريّة معرفة الله تعالى سلف الأمّة وأئمة الإسلام، ومنهم ابن تيمية : حيث أكّد على هذه المسألة في تقريراته وردوده.

ويُلاحظ أنّه : يؤكّد على مسألة فطريّة معرفة الله ــ والإيمان بوجوده تعالى؛ فمعرفة الله تعالى والإقرار بوجوده أمر مركوز في الفطَر السّليمة؛ فما لم يعرض للفطرة عارض أو صارف يصرفها عمّا جبلها الله تعالى عليه، فإنّها تقرّ بوجود المولى تعالى، فالاعتراف بوجود الخالق أ والإقرار به أمر بدهيّ ضروري، لا يحتاج إلى سبب؛ يدركه الإنسان

---

(١) انظر: معجم مقاييس اللغة (٥١٠/٤)، النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير (٤٥٧/٣)، لسان العرب مادة فطر (٥٦/٥).

(٢) انظر: المحرر الوجيز لابن عطيّة (٣٣٦/٤).

(٣) انظر: غريب القرآن لابن قتيبة (ص١٥١).

(٤) زاد المسير لابن الجوزي (صـ٤٢٧).

ويهتدي إليه، ولا يستطيع الانفكاك عنه، والانحراف عن هذه الفطرة أمر طارئ، وقد جاءت أدلة القرآن مبنية على أساس فطريّة معرفة الله تعالى.

فالنّفوس السويّة والفطر السليمة من الشك والرّيب، التي لم تفسد بأمر خارج عنها مقرّة بوجود الرّب تعالى، مجبولة على معرفته ــ، وهذه المعرفة يجدها كلّ سليم الفطرة معرفة ضروريّة بديهيّة، ولا تحتاج في ذلك إلى تفكير أو استدلال، يقول ابن تيمية :: (والكتاب والسنة دلّ على ما اتفقت عليه من كون الخلق مفطورين على دين الله، الذي هو معرفة الله والإقرار به، بمعنى أنّ ذلك موجب فطرتهم، وبمقتضاها يجب حصوله فيها، إذا لم يحصل ما يعوقها، فحصوله فيها لا يقف على وجود شرط، بل على انتفاء مانع)[(١)] ويقول: (فالقلوب مفطورة على الإقرار بالله تصديقًا به، ودينًا له، لكن يعرض لها ما يفسدها، ومعرفة الحق تقتضي محبته، ومعرفة الباطل تقتضي بغضه؛ لما في الفطرة من حبّ الحق وبغض الباطل، لكن قد يعرض لها ما يفسدها إمّا من الشبهات التي تصدّها عن التصديق بالحقّ، وإمّا من الشهوات التي تصدها عن اتباعه، ولهذا أمرنا الله أنْ نقول في الصلاة : ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧ ﴾ [سورة الفاتحة:٦-٧]، وقال النبي ﷺ: «اليهود مغضوب عليهم والنصارى ضالون» [(٢)] لأنّ اليهود يعرفون الحق كما يعرفون أبناءهم ولا يتبعونه؛ لما فيهم من الكبر والحسد الذي يوجب بغض الحق ومعاداته، والنصارى لهم عبادة وفي قلوبهم رأفة ورحمة ورهبانية ابتدعوها لكن بلا علم فهم ضلال ، هؤلاء لهم معرفة بلا قصد صحيح، وهؤلاء لهم قصد في الخير بلا معرفة له وينضم إلى ذلك الظّن واتباع الهوى)[(٣)].

ففطرية معرفة الله تعالى راسخة في النفوس، بل إنّها أشدّ رسوخًا من مبادئ العلم الرياضي، كقولنا إنّ الواحد نصف الاثنين، ومن مبادئ العلم الطبيعي، كقولنا إنّ الجسم لا يكون في مكانين؛ لأن هذه المعارف قد تعرض عنها أكثر الفطر، لكن العلم بالله تعالى لا يتصور أن تعرض عنه الفطر السويّة[(٤)].

وممّا قرّره : كذلك أنّ فطريّة الإقرار بوجود الله تعالى ليست عند بني آدم فقط، بل الجن أيضًا تقرّ بذلك فــ (أصل الإقرار بالصانع والاعتراف به مستقرّ في قلوب جميع الإنس

---

(١) درء تعارض العقل والنقل (٨/ ٤٥٤).

(٢) أخرجه الترمذي في سننه (٥/٥٤) بلفظ "فإنّ اليهودَ مغضوبٌ عليهم، والنصارى ضُلال"، برقم (٢٩٥٣)، وأخرجه الإمام أحمد في المسند (١٢٣/٣٢) برقم (١٩٣٨١) بلفظ «إنّ المغضوب عليهم اليهود، وإنّ الضالين النصارى» من حديث عدي بن حاتم ت، قال الترمذي: حديث حسن غريب، وقال الألباني: صحيح، صحيح الجامع الصغير (١٣٦٣/٢) برقم (٨٢٠٢).

(٣) مجموع الفتاوى (٧/ ٥٢٨).

(٤) انظر: مجموع الفتاوى (١٥/٢، ١٦).

والجن، وأنّه من لوازم خلقهم، ضروريّ فيهم، وإنْ قدّر أنّـه حـصل بـسبب، كما أنّ اغتذاءهم بالطعام والشراب هو من لوازم خلقهم، وذلك ضروريّ فيهم)(١).

المطلب الثالث: دلائل فطريّة معرفة الله تعالى عند ابن تيمية

من دلائل فطريّة معرفة الله تعالى أنّ المشركين لم ينازعوا في ذلك؛ فقد جاءت دعوة رسلهم لإ ابتداءً إلى عبادة الله وحده لا شريك لـه، ﴿۞قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ﴾ [سورة إبراهيم: ١٠] فالمشركون من عبّاد الأصنام ومن أهل الكتاب، وحتى المجانين يقرّون بوجود الله تعالى في فطرهم، مقرّون بأنّه ربهم وخالقهم ورازقهم، وأنّـه ربّ السموات والأرض، ولهذا لمّا قال النبي ﷺ لأبي عمران بن حصين س: «كم تعبد اليوم إلهًا؟ قال: سبعة، ستة في الأرض وواحد في السماء، قال فأيهم تعدّ لرغبتك ورهبتك؟ قال: الذي في السماء»(٢)، فالله تعالى فطر الخلق كلّهم على معرفته، حتّى من خُلق منهم مجنونًا مطبقًا مصطلمًا!(٣).

ومن الدلائل كذلك فإنّ فطريّة معرفة الله تعالى هي مقتضى الذي أخذه الله تعالى على آدم ؛ وذريّته وهم في ظهر أبيهم؛ ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُواْ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَـٰذَا غَـٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾﴾ [سورة الأعراف:١٧٢].

فالخلق مقرّون بوجود الله وشاهدون على أنفسهم بذلك، فـ (قولهم: ﴿بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ﴾، هو إقرارهم بأنّه ربّهم، ومن أخبر بأمر عن نفسه فقد شهد به على نفسه، ولهذا قال في الآية: ﴿وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُواْ بَلَىٰ﴾ ، فقولهم: بلى، معناه: أنت ربّنا، وهذا إقرار بربوبيته لهم، وهذا الإقرار هو شهادة على أنفسهم، أي إنطاقهم بالإقرار بربوبيته، وجعلهم شهداء على أنفسهم بما أقرّوا به من ربوبيته، وقوله: ﴿وَأَشْهَدَهُمْ﴾ يقتضي أنّه هو الذي جعلهم شاهدين على أنفسهم بأنّه ربّهم.... فهو يقول: اذكر حين أخذوا من أصلاب الآباء فخلقوا حين ولدوا على الفطرة مقرّين بالخالق شاهدين على أنفسهم بأن ّالله ربهم، فهذا الإقرار حجّة لله عليهم يوم القيامة، فهو يذكر أخذه لهم، وإشهاده إياهم على أنفسهم)(٤).

---

(١) درء تعارض العقل والنقل (٨/ ٤٨٢).

(٢) الحديث رواه الترمذي كتاب الدعوات، (٥/٤٦٨)، برقم (٣٤٨٣) قال الترمذي: حديث غريب وقد روي هذا الحديث عن عمران بن حصين تمن غير هذا الوجه.

(٣) انظر: رسالة في الفطرة ضمن مجموعة الرسائل الكبرى لابن تيمية (٢/٣٣٧)، ومعنى مصطلمًا أي مستأصل، وكل شيء اصطلم لم يبق منه شيء، انظر: تاج العروس (٤/ ٣٥١)

(٤) درء تعارض العقل والنقل (٨/ ٤٨٦، ٤٨٧).

فكلّ بني آدم مقرّون بأنّ الله ربّهم وشاهدين على أنفسهم بهذا الإقرار؛ وهذا الإقرار (أمر ضروري لهم لا ينفكّ عنه مخلوق، وهو ممّا خلقوا عليه وجبلوا عليه، وجعل علمًا ضروريًا لهم، لا يمكن أحدًا جحده)(١)، فالإقرار بوجود الله تعالى (علم ضروري لازم للإنسان، لا يغفل عنه أحد بحيث لا يعرفه، بل لا بدّ أن يكون قد عرفه، وإن قدّر أنّه نسيه، ولهذا يسمى التعريف بذلك تذكيرًا؛ فإنّه تذكير بعلوم فطرية ضرورية قد ينساها العبد)(٢).

ويؤكّد ابن تيمية : على هذا المعنى فيقول: (فإذا كان في فطرتهم ما شهدوا به من أنّ الله وحده هو ربّهم، كان معهم ما يبين بطلان هذا الشرك، وهو التوحيد الذي شهدوا به على أنفسهم، فإذا احتجوا بالعادة الطبيعية من اتباع الآباء، كانت الحجة عليهم الفطرة الطبيعية العقلية السابقة لهذه العادة الأبويّة، كما قال ح: «كلّ مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجّسانه»(٣)، فكانت الفطرة الموجبة للإسلام سابقة للتربية التي يحتجّون بها، وهذا يقتضي أنّ نفس العقل الذي به يعرفون التوحيد، حجة في بطلان الشرك، لا يحتاج ذلك إلى رسول؛ فإنّه جعل ما تقدم حجة عليهم بدون هذا.

وهذا لا يناقض قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾﴾ [سورة الإسراء:١٥]، فإنّ الرسول يدعو إلى التوحيد، لكن إنْ لم يكن في الفطرة دليل عقلي يعلم به إثبات الصانع، لم يكن في مجرد الرسالة حجّة عليهم، فهذه الشهادة على أنفسهم التي تتضمن إقرارهم بأن الله ربهم، ومعرفتهم بذلك، وأنّ هذه المعرفة والشهادة أمر لازم لكل بني آدم، به تقوم حجة الله تعالى في تصديق رسله)(٤) .

المبحث الثاني: المراد بفطريّة معرفة الله تعالى وفطريّة الإقرار بوجوده

يبيّن ابن تيمية : أنّ المراد بفطريّة معرفة الله تعالى أنّ المرء مجبول على خلقة تقتضي قبول ذلك فيقول معلقًا على حديث كل مولود يولد على الفطرة: (ليس المراد به أنّه حين ولدته أمه يكون عارفًا بالله موحدًا له، بحيث يعقل ذلك، فإنّ الله يقول: ﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَـٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [سورة النحل:٧٨] ونحن نعلم بالاضطرار أنّ الطفل ليس عنده معرفة بهذا الأمر، ولكن ولادته على الفطرة تقتضي أنّ الفطرة تقتضي ذلك، وتستوجبه بحسبها، فكلّما حصل فيه قوة العلم والإرادة، حصل من معرفتها بربها،

(١) درء تعارض العقل والنقل (٨/ ٤٨٨).
(٢) درء تعارض العقل والنقل (٨/ ٤٨٩).
(٣) رواه البخاري في كتاب الجنائز، باب إذا أسلم الصبي فمات، هل يصلى عليه، وهل يعرض على الصبي الإسلام (١٣٥٨)، ومسلم في كتاب القدر باب معنى كل مولود يولد على الفطرة (٢٦٥٨).
(٤) درء تعارض العقل والنقل (٨/ ٤٩١).

ومحبتها له، ما يناسب ذلك، كما أنّه ولد على أنه يحبّ جلب المنافع ودفع المضارّ بحسبه، وحينئذ فحصول موجب الفطرة، سواء توقف على سبب، وذلك السبب موجود من خارج، أو لم يتوقف، على التقديرين يحصل المقصود)[١]، (فنفس الفطرة تستلزم الإقرار بخالقه ومحبته وإخلاص الدين له، وموجبات الفطرة ومقتضاها تحصل شيئًا بعد شيء، بحسب كمال الفطرة، إذا سلمت عن المعارض)[٢].

فبهذه القوة الكامنة في النفس تحصل معرفة الله تعالى إذا سلمت من المعارض.

فإنّ الفطرة (فيها قوة تقتضي المعرفة بنفسها، وإن لم يوجد من يعلّمها أدلة المعرفة، لزم حصول المعرفة فيها بدون ما نسمعه من أدلة المعرفة، سواء قيل: إنّ المعرفة ضرورية فيها، أو قيل: إنها تحصل بأسباب كالأدلة التي تنتظم في النفس، من غير أن يسمع كلام مستدل، فإن النفس بفطرتها قد يقوم بها من النظر والاستدلال مالا يحتاج معه إلى كلام أحد، فإن كان كل مولود يولد على هذه الفطرة، لزم أن يكون المقتضى للمعرفة حاصلاً لكل مولود، وهو المطلوب)[٣].

ومع القول بفطرية معرفة الله تعالى والإقرار بوجوده، لكن عندما نشاهد في البشريّة نرى من النّاس مَن أنكر وجود الخالق تعالى، هذا الأمر يعود سببه -كما يرى ابن تيمية :- إلى فساد الفطرة إمّا بسبب شبهة أو شهوة، فإذا طرأ على الفطرة ما يفسدها، ويكدّر صفوها، وانحرفت عمّا هي عليه من خلقة الله تعالى لها؛ فتكون معرفة الله تعالى حينها بحاجة إلى بحث ونظر واستدلال، حتى تعود إلى ما كانت عليه وتقرّ بوجود المولى تبارك وتعالى، يقول : في بيان ذلك: (الإقرار بالخالق فطريّ ضروري في جبلّات الناس، لكن من الناس من فسدت فطرته، فاحتاج إلى دواء، بمنزلة السفسطة التي تعرض لكثير من الناس في كثير من المعارف الضروريّة ....وهؤلاء يحتاجون إلى النظر، وهذا الذي عليه جمهور الناس أنّ أصل المعرفة قد يقع ضروريًا فطريًا وقد يحتاج فيه إلى النظر والاستدلال)[٤].

---

(١) درء تعارض العقل والنقل (٨/٤٦٠، ٤٦١) ، وانظر: مجموع الفتاوى (٤/٢٤٧).

(٢) درء تعارض العقل والنقل ((٨/٣٨٣).

(٣) درء تعارض العقل والنقل (٨/ ٤٤٦).

(٤) جامع الرسائل لابن تيمية (١/ ١٤)، وانظر: مجموع الفتاوى (١٦/٣٢٨).

المبحث الثالث: مستند ابن تيمية : في قوله بفطريّة الإيمان بوجود الله لأ:

مع تأكيد ابن تيمية : على فطريّة معرفة الله تعالى يبيّن أنّ معرفة الله ــ بأسمائه وصفاته على وجه التفصيل لا سبيل إليها إلا من طريق الرسولﷺ؛ إمّا بالإخبار عنها أو بالتنبيه على أدلتها العقليّة(١).

ويبيّن : أنّ أوّل أنكر فطريّة معرفة الله تعالى، وأنّه لابدّ في ذلك من إقامة الأدلة العقليّة؛ إذ لا يمكن معرفة الله تعالى من سوى هذه الطرق العقليّة، هم أهل الكلام من الجهميّة والقدريّة الذين ذمّهم سلف الأمّة(٢)، وقد يكون هذا الإنكار سببًا لامتناع معرفة الله تعالى في نفوسهم' وقد تزول هذه المعرفة عن القلب؛ فإنّ الفطرة قد تفسد وقد تزول، وقد تكون موجودة لكنها لا تُرى(٣).

فالله تعالى يقول: ﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ ﴾ [سورة الحشر:١٩]. وهذا يدل على أنّ نسيان الرّب تعالى يوجِب نسيان النفس، فالذي يذكر الله ولا ينساه يكون ذاكرًا لنفسه؛ فالآية تدلّ على أنّ نسيان الإنسان لنفسه سببه نسيانه لربه، والذاكر لربه لا يحصل له هذا النسيان، والذكر يتضمّن ذكر أمر قد علمه (فمن ذكر ما يعلمه من ربه ذكر ما يعلمه من نفسه، وهو قد ولد على الفطرة التي تقتضي أنّه يعرف ربّه ويحبه ويوحده، فإذا لم ينسَ ربّه الذي عرفه بل ذكره على الوجه الذي يقتضي محبته ومعرفته وتوحيده ذكر نفسه فأبصر ما كان فيها قبل من معرفة الله ومحبته وتوحيده، وأهل البدع الجهمية ونحوهم لما أعرضوا عن ذكر الله؛ الذكر المشروع الذي كان في الفطرة، وجاءت به الشرعة؛ الذي يتضمّن معرفته ومحبته وتوحيده، نسوا الله من هذا الوجه، فأنساهم أنفسهم من هذا الوجه، فنسوا ما كان في أنفسهم من العلم الفطري، والمحبة الفطرية، والتوحيد الفطري)(٤).

كذلك فإنّ الرسل لإ في دعوتهم لأقوامهم لم يكونوا أوّل ما يبدؤا به هو الدعوة إلى معرفة الخالق والاستدلال على ذلك؛ إذ أنّ هذه المعرفة جبلّية فطريّة، يقول ::(ولهذا كانت الرّسل إنّما تأتي بتذكير الفطرة ما هو معلوم لها، وتقويته وإمداده، ونفي المغيّر للفطرة؛ فالرّسل بعثوا بتقرير الفطرة وتكميلها، لا بتغيير الفطرة وتحويلها، والكمال يحصل بالفطرة المكملة بالشرعة المنزلة)(٥)، فـ (ليس في الرسل من قال أوّل ما دعا

---

(١) انظر: بيان تلبيس الجهميّة في تأسيس بدعهم الكلامية (١٣٧/٢).
(٢) انظر: مجموع الفتاوى (٣٤٠/١٦).
(٣) انظر: مجموع الفتاوى (٣٤٤/١٦).
(٤) مجموع الفتاوى (٣٥٠/١٦).
(٥) مجموع الفتاوى (٣٤٨/١٦).

قومه: إنّكم مأمورون بطلب معرفة الخالق فانظروا واستدلوا حتى تعرفوه، فلم يكلفوا أولاً بنفس المعرفة، ولا بالأدلة الموصلة إلى المعرفة؛ إذ كانت قلوبهم تعرفه وتقر به، وكل مولود يولد على الفطرة، لكن عرض للفطرة ما غيّرها، والإنسان إذا ذكّر ذكَر ما في فطرته، ولهذا قال الله في خطابه لموسى : ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ﴾ [سورة طه:٤٤] ما في فطرته من العلم الذي به يعرف ربّه، ويعرف إنعامه عليه وإحسانه إليه، وافتقاره إليه، فذلك يدعوه إلى الإيمان ﴿أَوْ يَخْشَىٰ﴾ ما ينذره به من العذاب فذلك أيضًا يدعوه إلى الإيمان)[١].

أنّ الله تعالى فطر عباده على معرفته ومحبّته، وهذا أمر لا يمكن دفعه، وهذه الفطرة قائمة بالنّفس وإنْ لم يلحظ الإنسان ذلك لكنها قائمة به كقيام الصفة بالنفس من غير شعور صاحبها أنّها قامت به، لكن لو تعمّد تأمّل حاله لعرف قيامها به[٢].

المطلب الأول: الاستدلال بالنصوص الشرعية:

مما يستند إليه ابن تيمية في القول بفطرية معرفة الله تعالى الأدلة التي جاءت في نصوص الشرع تؤكّد على فطريّة معرفة الله تعالى منها:

قول الله لأ: ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ ﴾ [سورة العلق: ١]، وقول الله تَعَالَىٰ:﴿ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ﴾ [سورة العلق: ٣] فجاء اسم الربّ تبارك وتعالى في هذين الموضوعين بالإضافة التي توجب التعريف، فهو ــ معروف عند المخاطبين، فالرّب معروف عند العبد بلا استدلال بكونه خلق، وأنّ المخلوق مع أنه دليل، وأنه يدل على الخالق، لكن معروف في الفطرة قبل هذا الاستدلال؛ فمعرفته سبحانه فطريّة مغروزة في الفطرة؛ ضروريّة بديهية أولية[٣]، (وإذا كان كذلك فكلّ إنسان في قلبه معرفة بربه، فإذا قيل له ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ﴾ عرف ربه الذي هو مأمور أن يقرأ باسمه، كما يعرف أنّه مخلوق والمخلوق يستلزم الخالق ويدل عليه) [٤].

ومن الأدلة قول الله ﷻ: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝٣٠ ۞ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَٱتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۝٣١ ﴾ [سورة الروم:٣٠-٣١].

---

(١) مجموع الفتاوى (٣٣٨/١٦).
(٢) انظر: مجموع الفتاوى (٣٤٠/١٦، ٣٤١).
(٣) انظر: مجموع الفتاوى (٣٢٤/١٦).
(٤) مجموع الفتاوى (٣٢٨/١٦).

ومنها كذلك معنى الكلمة الطيبة؛ لا إله إلا الله التي ضرب الله تعالى بها مثلاً: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾﴾ [سورة إبراهيم:٢٤].فهذه الكلمة (فيها إثبات معرفته والإقرار به، وفيها إثبات محبّته؛ فإنّ الإله هو المألوه الذي يستحقّ أن يكون مألوهًا، وهذا أعظم ما يكون من المحبّة، وفيها أنّه لا إله إلا هو، ففيها المعرفة والمحبّة والتوحيد، وكل مولود يولد على الفطرة وهي الحنيفية التي خلقهم عليها، ولكن أبواه يفسدان ذلك؛ فيهوّدانه وينصّرانه ويمجّسانه ويشركانه، كذلك يجهّمانه؛ فيجعلانه منكرًا لما في قلبه من معرفة الرّب ومحبته وتوحيده)[١].

ومن الأدلة كذلك قول الله ﷻ:﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدْنَآ أَن تَقُولُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾﴾[سورة الأعراف: ١٧٢] فالإقرار والإشهاد المذكور في هذه الآية، يُعلم منه أنّ الإقرار بالله تعالى والاعتراف به أمر فطري ضروري مستقرّ في قلوب جميع الناس، وأنّه من لوازم خلقهم[٢]، ولا يغفل عنه أحد بحيث لا يعرفه، بل لا بدّ أن يكون قد عرفه، وإن قدّر أنّه نسيه، ولذلك يسمّى التعريف به تذكيرًا، فإنّه تذكير بعلوم فطرية ضروريّة قد ينساها العبد كما قَالَ تَعَالَىٰ:﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ نَسُواْ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ﴾ [سورة الحشر:١٩] فتبيّن بذلك أنّ العلم بالله تعالى علم فطريّ ضروري لابدّ لكل بشر من معرفته[٣].

ومن الأدلة أيضًا قول الله ﷻ:﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ ﴾ [سورةالحج: ١٨] فإذا كانت هذه الجمادات فطرت على معرفة الله تعالى وتسبيحه وتنزيهه، والإنسان أشرف منها، فلأن يفطر على معرفته بربه أولى وأحرى؛ لما ركّب الله فيه من العقل والتمييز[٤].

ومن النصوص الدالة على ذلك أيضًا ما جاء في القرآن الكريم من أمر الله تعالى لرسله عليهم السلام من الأمر بعبادة الله تعالى وحده؛ ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾[سورة الأنبياء: ٢٥] ووجه دلالة هذه الآية على فطريّة معرفة الله، أنّه لو لم يكن الإقرار بالله تعالى مستقر في فطر أقوامهم لكان

---

(١) مجموع الفتاوى (٣٤٥/١٦).

(٢) انظر: درء تعارض العقل والنقل (٤٨٢/٨).

(٣) انظر: درء تعارض العقل والنقل (٤٨٩/٨).

(٤) انظر: رسالة في الفطرة ضمن مجموعة الرسائل الكبرى لابن تيمية (٣٤٠/٢)

الرسول إذا قال لقومه: اعبدوا الله، لقالوا: وما ربّ العالمين؟ فدلّ ذلك على أنّه ليس في الله شكّ عند المخاطبين، وهذا يبين أنّهم مفطورون على الإقرار به[١].

ومن النصوص الدّالة على فطرية معرفة الله تعالى، ما جاء في الصحيحين عن النبي ﷺ أنّه قال: «كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء»، ثم يقول أبو هريرة: اقرءوا إن شئتم ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا﴾ [٢]، (والفطرة تستلزم معرفة الله تعالى)[٣].

ومنها كذلك الحديث القدسي الذي رواه عياض بن حمار رضي الله عنه أنّ النبي ﷺ قال: يقول الله تعالى: «إنّي خلقت عبادي حنفاء فاجتالتهم الشياطين، وحرّمت عليهم ما أحللت لهم، وأمرتهم أنْ يشركوا بي ما لم أنزّل به سلطانًا»[٤] (فأخبر أنّه خلقهم حنفاء؛ وذلك يتضمّن معرفة الربّ ومحبّته وتوحيده)[٥].

ومما يستند إليه أيضًا ما جاء في القرآن الكريم في قصص الأنبياء، وفي إجابة الرسل لأقوامهم ففي محاورة موسى عليه السلام لفرعون حين سأله جاحدًا الرّب تبارك وتعالى، أجابَه نبي الله موسى عليه السلام (بأنّه أعرف من أن ينكر وأظهر من أن يشك فيه ويرتاب، فقال ﴿رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [سورة الشعراء:٢٤]، ولم يقل "موقنين بكذا وكذا " بل أطلق، فأيّ يقين كان لكم بشيء من الأشياء؟ فأول اليقين، اليقين بهذا الرّب؛ كما قالت الرسل لقومهم: ﴿أَفِى ٱللَّهِ شَكٌّ﴾ [سورة إبراهيم:١٠])[٦].

وحينما قال فرعون لموسى عليه السلام: ﴿إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٢٧﴾﴾ [سورة الشعراء:٢٧]. بيّن له أنّ فرعون وملأه أحقّ بهذا النّعت؛ لأنّهم سلبوا العقل من علمه النّافع؛ فقال له: ﴿قَالَ رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [سورة الشعراء:٢٨]. فبيّن أنّ الإيمان بوجود الرّب تبارك وتعالى من لوازم العقل؛ **(فإنّ العقل مستلزم لعلوم ضروريّة يقينيّة، وأعظمها في الفطرة الإقرار بالخالق**، فلما ذكر أولاً أنّ من أيقن بشيء فهو موقن به، واليقين بشيءٍ هو من لوازم العقل، بيّن ثانيًا أنّ الإقرار به من لوازم العقل)[٧].

---

(١) انظر: درء تعارض العقل والنقل (٤٤٠/٨).

(٢) رواه البخاري كتاب الجنائز، باب إذا أسلم الصبي فمات هل يصلى عليه (١٣٥٨) ومسلم كتاب القدر، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة (٢٦٥٨).

(٣) مجموع الفتاوى (٣٤٤/١٦).

(٤) رواه مسلم كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب الصّفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار (٢٨٦٥)

(٥) مجموع الفتاوى (٣٤٥/١٦).

(٦) مجموع الفتاوى (٣٣٥/١٦).

(٧) مجموع الفتاوى (٣٣٦/١٦).

المطلب الثاني: الاستدلال بالدلائل العقلية الدالة على فطرية معرفة الله تعالى:

ومما يستند إليه كذلك الدلالة العقلية الدّالة على أنّ الناس في مفطورون على الإقرار بوجود الصانع سبحانه منها:

- إنّ في فطرة الإنسان قوّة تقتضي اعتقاد الحق، ومسألة الإقرار بوجود الخالق والإيمان به إمّا أنْ يكون هو الحق أو نقيضه، والثاني معلوم الفساد قطعًا، فتعيّن الأوّل، وحينئذٍ فإنّه يجب أنْ يكون في الفطرة ما يقتضي معرفة الصانع والإقرار به، وكذلك إذا لزم أن يكون في الفطرة ما يرجح الحنيفيّة التي أصلها معرفة الصانع، فإمّا أن يكون مقتضاها لا يوجد إلا بسبب منفصل عنها مثل وجود من يعلّمه ويدعوه، أو يمكن وجوده بدون السبب المنفصل، فإذا كان الأول لزم أن يكون موجبها متوقف على مخاطَب منفصل دائمًا فلا يحصل بدونه البته، وحينئذٍ فيلزم التسلسل في المخاطَبين، ووجود مخاطبين لا يتناهون وهم أيضًا مخاطَبون، وهذا تسلسل في الفاعلين، وهو ممتنع، وإن كان في المخاطَبين من حصل له بموجب الفطرة الإقرار بالصانع بلا مخاطِب منفصل، دلّ على أنّه ممكن في الفطرة، فبطل هذا التقدير –وهو كون موجب الفطرة لا يحصل إلا لمخاطَب منفصل– وإن أمكن حصول موجب الفطرة بدون مخاطَب منفصل، علم أنّ في الفطرة قوّة تقتضي ذلك، وأنّ ذلك ليس موقفًا على مخاطَب منفصل، لكن قد يكون لذلك المقتضى معارض مانع وهذا هو الفطرة، وهذا الدليل يقتضي أنّه لابدّ أن يكون في الفطر ما يكون مستغنيًا عن مخاطَب منفصل في حصول موجب الفطرة، لكن لا يقتضي أنّ كل واحد كذلك، لكن إذا عُرف أنّ ما جاز على أحد من الناس يجوز على الآخر لتماثلهما في النوع، أمكن ذلك في كل شخص(١).
- قد ثبت أنّ الفطرة تقتضي معرفة الله تعالى، وإن لم تكن فطرة كلّ أحد كذلك، بل قد يحتاج كثير منهم إلى سبب معين كالتعليم، فإن الله تعالى قد بعث الرسل، وأنزل الكتب، لدعوة الناس إلى موجب هذه الفطرة؛ من معرفة الله تعالى وتوحيده، فإذا لم يحصل ما يمنعها، استجابت لله ولرسله لما فيها من المقتضي لذلك (٢).
- ثبت أنّ في النفس البشريّة قوّة تقتضي العلم والإرادة، كما ثبت أنّ فيها قوّة ترجّح الدين الحقّ على غيره، وهذا المرجّح إذا حصل من خارج النفس، لا يوجِب بنفسه

(١) انظر: درء تعارض العقل والنقل (٨/٤٥٦– ٤٦٠).

(٢) انظر: درء تعارض العقل والنقل (٨/٤٦٠).

حصول العلم والإرادة في النفس، إلا بقوّة منها تتقبل ذلك، وتلك القوة لا تتوقف على أخرى، وإلا لزم التسلسل، أو الدور القبلي، وكلاهما ممتنع، وحينئذ فالمخاطَب إنما عنده تنبيه النفس على مالا تعلمه لتعلمه، أو تذكيرها بما كانت ناسه لتذكره، وهذه يمكن أن تحصل بخواطر في النفس؛ فإنّ ما يسمعه الإنسان من كلام البشر يمكن أن يخطر له مثله في قلبه، فعُلم أنّ الإقرار بالصانع يمكن حصوله في الفطرة بدون سبب منفصل، ومن المعلوم أنّه إذا كان المقتضي لذلك قائمًا في النفس، وقدّر عدم المعارض، فلم يحصل المفسد الخارج ولا المصلح الخارج، كانت الفطرة مقتضية للصلاح، فالمقتضى السالم عن المعارض يوجب مقتضاه، لأنّ المقتضي فيها قائم، والمانع زائل؛ إذ ليس في الفطرة مانع من ذلك، فعلم أنّ الفطرة السليمة إذا لم يحصل لها ما يفسدها كانت مقرّة بالصانع سبحانه(١).

- أنّ النفس لا تخلو من الشعور والإرادة، وفي حق الخالق ــ لا يمكن أن تخلو النفس من الشعور بوجوده وبعدمه، ولا من محبته وعدم محبّته، فالإقرار بوجوده وبمحبته سبحانه من لوازم وجودها، وذلك لأن النفس لها مطلوب مراد بضرورة فطرتها، وكونها مريدة هو من لوازم ذاتها، فلا يتصور أن تكون نفس الإنسان غير مريدة، وإذا كان كذلك فلابدّ لكل مريد من مراد، والمراد إما أن يكون مرادًا لنفسه أو لغيره، والمراد لغيره لا بدّ أن ينتهي إلى مراد لنفسه، فيمتنع أن تكون جميع المرادات مرادات لغيرها؛ فإن هذا تسلسل في العلل الغائية، وهو ممتنع، وإذا كان لا بدّ للإنسان من مراد لنفسه، فهذا هو الإله الذي يألهه القلب، فإذاً لا بدّ لكل عبد من إله، فعلم أنّ العبد مفطور على أنه يحب إلهه، ولا يمكن أن يكون هذا الإله غير الله، لعدّة وجوه، منها أنّ هذا الأمر خلاف الواقع، وكذلك لا يوجد مخلوق أولى من غيره بأن يكون إلهًا لكل الخلق، ومنها أنّ المشركين لم يتفقوا على إله واحد، ومنها أنّه يمتنع أن يكون الإله من المخلوقات؛ لأنه إن كان ميتاً فالحيّ أكمل منه، ويمتنع أن يكون الناس مفطورين على عبادة ميت، وإن كان حيًا فإنّه مريد وله إله يألهه فلو كان هذا يأله هذا، وهذا يأله هذا، لزم الدور الممتنع، أو التسلسل الممتنع، فلا بد لهم كلهم من إله يألهونه، وهذا الإله لا يصح أن ينطبق على جنس الآلهة؛ بل لابدّ أن يكون إلهًا معيناً، لأن المراد إمّا أن يكون مرادًا لنوعه أو لذاته، والمراد لذاته لا يكون نوعًا، لأن أحدهما لا يمكن أن يكون الآخر، وإذا كان المراد لذاته هو القدر

(١) انظر: درء تعارض العقل والنقل (٤٦١/٨-٤٦٣).

المشترك بينهما، لزم أن يكون ما يختص به أحدهما ليس مرادًا لذاته، وإذا لم يكن مرادًا لذاته، لزم أن يكون ما يختص به كل منهما ليس مرادًا لذاته، والكلي لا وجود له في الأعيان إلا معينًا، فإذا لم يكن في المعينات ما هو مراد لذاته، لم يكن في الموجودات الخارجيّة ما هو مراد لذاته، فلا يكون فيها ما يجب أن يألهه أحد، فضلاً عما يجب أن يألهه كل واحد، فتبين أنّه لا بد من إله معين، هو المحبوب لذاته من كل حيّ، ومن الممتنع أن يكون هذا غير الله، فلزم أن يكون هو الله، وعلم أنّ كل مولود ولد على محبّة هذا الإله ومحبّته مستلزمة لمعرفته سبحانه[١].

ومع القول بفطريّة معرفة الله إلا أنّها مجملة، فالفطرة تعلم الأمر مجملاً، فإنّها مكمَّلة بالفطرة المنزلة، فإنّ الفطرة تعلم الأمر مجملاً والشريعة تفصّله وتبينه، وتشهد بما لا تستقلّ الفطرة به[٢].

المبحث الرابع: موقف ابن تيمية في النصوص الشرعية الدالة على وجود الله تعالى

إذا كان الإقرار بوجود الله تعالى أمر فطريّ ضروري، فلماذا نجد في الشرع أدلّة وآيات متعددة ومتنوّعة تدلّل على وجود الرّب تعالى؟

يرى ابن تيمية أن هذه الآيات جاءت لتخاطب من فسدت فطرته، فالأدلّة الكثيرة والمتنوعة التي تدل عليه ــ إنّما يُلجأ إليها عند تغيّر الفطرة وفسادها؛ فإنّ (الإقرار بالخالق وكماله يكون فطريًا ضروريًا في حق من سلمت فطرته، وإن كان مع ذلك فقد قامت عليه الأدلة الكثيرة وقد يحتاج إلى الأدلة على ذلك كثير من الناس عند تغير الفطرة وفسادها وأحوال تعرض لها)[٣].

والآيات الدالة على الرب تعالى آياته القولية التي تكلّم بها كالقرآن، وآياته الفعلية التي خلقها في الأنفس والآفاق، تدل عليه وتحصل بها التبصرة والذكرى، وإن كان الرب تعالى قد عرفته الفطرة قبل هذا، ثم حصل له نوع من الجهل أو الشك أو النسيان ونحو ذلك)[٤].

---

(١) انظر: درء تعارض العقل والنقل (٨/٤٦٤-٤٦٧).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى (٤/٤٥).

(٣) مجموع الفتاوى (٦/٧٣).

(٤) درء تعارض العقل والنقل (٨/ ٥٣٣، ٥٣٤).

الخاتمة

أحَمد الله تعالى على إتمام هذا البحث، والذي بيّنت فيه استدلال ابن تيمية : بدليل الفطـــرة على وجود الله تعالى، وتأكيده على أنّ دلالة الفطرة من أقوى الأدلـــة علـــى وجـــود الله، وأنها أقوى من الأدلة العقلية، وذلك لأنها أساس العلوم الضرورية؛ فإن البراهين العقليـــة التي تُنال بالنظر لابدّ أن ينتهي إلى مقدمات ضروريّة فطريّة، وأيضًا فإنّ الفطـــرة مـــن العلوم الضرورية وهي من العلوم الملازمة للإنسان، وهذا لا يتحقّق في كثير من العلـــوم العقليّة، التي وإن كانت ضروريّة لكن كثير من بني آدم قد يغفل عنها، بخلاف الاعتراف بوجود الله تعالى، فإنه لا يغفل عنه أحد بحيث لا يعرفه، بل لا بدّ أن يكون قـــد عرفـــه، وإن قدر أنه نسيه، ولهذا يسمى التعريف بذلك تذكير؛ فإنه تذكير بعلوم فطرية ضـــرورية قد ينساها العبد(١).

ومن أبرز النتائج التي توصّلت إليها:

- أنّ دلالة الفطرة من أقوى الأدلة على وجود الله تعالى.
- أنّ دلالة الفطرة هي الأصل والمرجع في الأدلة العقليّة.
- أنّ النفوس السويّة والفطر السليمة من الشك والرّيب، مقرّة بوجود الـــرّب تعـــالى، مجبولة على معرفته، وأنّ هذه المعرفة يجدها كلّ سليم الفطرة معرفـــة ضـــروريّة بديهيّة.
- أنّ معرفة الله تعالى والإقرار بوجوده أمرٌ فطريّ ضروريّ، لكن من الناس مـــن فسدت فطرته، فاحتاج في الاستدلال على وجود الله إلى أدلة أخرى لتخاطب فساد فطرته
- أنّ من دلائل فطرية معرفة الله تعالى أنّ الرسل لم يبتـــدؤوا دعـــوتهم لأقـــوامهم بالدعوة إلى فهي معرفة جبلّية فطريّة.

وصلى الله على معلّم البشريّة، نبيّنا محمّد وعلى آله وصحبه وسلّم.

(١) انظر: درء تعارض العقل والنقل (٨/ ٤٨٩).

قائمة المراجع:

١) بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية، المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي، المحقق: مجموعة من المحققين، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، الطبعة: الأولى، ١٤٢٦هـ.

٢) تاج العروس من جواهر القاموس، المؤلف: محمّد بن محمّد بن عبدالرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي، المحقق: مجموعة من المحققين، الناشر: دار الهداية – سلسلة تصدرها وزارة الإعلام في الكويت.

٣) جامع الرسائل، لتقي الدين أبو العَباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي، المحقق: د. محمد رشاد سالم، الناشر: دار العطاء – الرياض، الطبعة: الأولى ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م

٤) الجامع الكبير –سنن الترمذي، المؤلف: محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى، المحقق: بشار عواد معروف، الناشر: دار الغرب الإسلامي – بيروت، سنة النشر: ١٩٩٨ م.

٥) درء تعارض العقل والنقل، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية الحراني، حققه الدكتور محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية، الطبعة الثانية، ١٤١١ ه ١٩٩١ م.

٦) زاد المسير في علم التفسير المؤلف: أبي الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، المكتب الإسلامي، دار ابن حزم الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ –٢٠٠٢م.

٧) صحيح البخاري، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه، المؤلف: محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ

٨) صحيح الجامع الصغير وزيادته (الفتح الكبير) تأليف محمد ناصر الدين الألباني، أشرف على طبعه: زهير الشاويش، الناشر: المكتب الإسلامي، بيروت، دمشق، الطبعة الثالثة ١٤٠٨هـ–١٩٨٨م.

٩) صحيح مسلم، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ، المؤلف: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ–١٩٩١م.

١٠) غريب القرآن، المؤلف: أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (المتوفى: ٢٧٦هـ)، المحقق: أحمد صقر، الناشر: دار الكتب العلمية، السنة: ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨م

١١) لسان العرب لمحمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري، دار صادر - بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤١٤ هـ

١٢) مجموعة الرسائل الكبرى تأليف شيخ الإسلام تقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية الحراني، دار إحياء التراث بيروت -لبنان.

١٣) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبدالرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي، المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمّد، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤٢٢ هـ.

١٤) مسند الإمام أحمد بن حنبل، المؤلف: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن الشيباني، المحقق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م.

١٥) معجم مقاييس اللغة، المؤلف: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني، المحقق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر، عام النشر: ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

١٦) النهاية في غريب الحديث والأثر، المؤلف: مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى - محمود محمد الطناحي. الناشر: المكتبة العلمية - بيروت، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.